الفندق الامبراطوري

رواية غرامية تاريخية مليئة بالحوادث والمفاجآت

تأليف

موريس أوبين

تعريب الكاتب المعروف

عمر عبد العزيز امين

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها الحاج مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

الفصل الاول

الاتون الملتهب

كانت الحرب سجالا فى ذلك الاتون الملتهب . الذى تندلع منه النيران دائما الي كل اوروبا . وتجعل السلم العالمي فى خطر دائم . ونعنى بذلك الاتون شبه جزيرة البلقان . التى تقطنها شعوب شتى . مختلفة الاديان متباينة الاجناس . لكل منها مطامعه فى التوسع والتوغل . فهى دائما فى نزاع . وكل منها واقف للاخر بالمرصاد . ينتظر غفلة منه . ليثب عليه ويبتلعه

منذ اكثر من قرن . وهذا التنازع على البقاء . . هو الظاهرة البارزة فى شبه جزيرة البلقان . التي أخذ الساسة في اوربا ينظرون اليها نظرتهم الى بركان هائل . يثور بين الفينة والفينة ويرسل قذائفه على السكان الذين لم يعرفوا طعم الراحه والطمأنينة منذ عشرات الاعوام

* * *

وقد قامت الحرب التى نتكلم عنها بين جمهورية سلافونيا

ومملكة جرجوفيا وكلاهما من المقاطعات الصغيرة. التي ساد السلام والوئام بينهما منذ سنوات عدة وكانت سلافونيا هي البادئة بالاعتداء فأخذت تستعد سراً. وتستجلب الاسلحة وتدرب الجنود. ثم قامت بهجوم مفاجيء بعد تفكير طويل ودرس عميق

فما هي الاعشية وضحاها.. حتى خرجت جيوشها الجرارة. واجتازت الحدود وأعملت النهب والتخريب. في بلاد أعدائها الآمنين

ولم تكن مملكة جرجوفيا الصغيرة تتوقع مثل هذا الاعتداء من جارتها الحليفة.

فلما اتصل الخبر بمجلس الوصاية الذي يقوم بأعباء الحكم الى أن يبلغ [illegible] الصغير [illegible] سن الرشد. كان الاعداء قد توغلوا في داخل البلاد وقتلوا أهلها الآمنين ودكوا حصونها وأحرقوا وخربوا [illegible] دورها وأتلفوا زرعها. وشتتوا ماشيتها بين الجبال والوهاد

فصدر أمر المجلس بالتجنيد العام.. ولكن بعد فوات الوقت.. فإن الاعداء كانوا يتقدمون بسرعة هائلة وهم أكثر

عدداً وأتم عدة . .

ولما اشتبك الجيشان . كان الجرجوفيون يقاتلون قتال الابطال .ويستميتون فى الدفاع عن بلادهم العزيزة ولكنهم اضطروا أخيرا . . بعد قتال عشرة أيام.وبعد تضحيات هائلة تدل على بطولة نادرة اضطروا أن يتراجعوا وراء نهر «ماروسا» الذي يجتاز بلادهم من أقصاها الى أقصاها . وبذلك تقدم جيش سلافونيا باطمئنان ووجد مدنية «رومبرج» عاصمة جرجوفيا عزلاء. خالية من السكان . وليس فيها من يرفع أصبعا للدفاع عنها . .

وقد قام قائد جيش جرجوفيا بحركة التراجع بعد اذ تبين له أن الثبات أمام هذا الجيش الجرار انما هو ضرب من ضروب المستحيلات . .

وقد فضل التقهقر على الاستسلم . أو القتال الى أن يفنى جيشه سيما وانه كان يعلق آمالا كباراً على الامداد التي وعدهبها مجلس الوصاية . . وعلى الخطه التي كان يدبرها ليستدرج بها الاعداء الى مكان تكون له فيه بعض الميزات عليهم.فيعمل فيهم القتل والذبح حتى يفنيهم عن بكرة أبيهم . .

تلك كانت خطة القائد العام لجيش جرجوفيا . . وهي التى زينت له التقهقر . ومنعته من التسليم . . أو المقاومة لان المقاومة كانت فى الواقع ضربا من ضروب الانتحار

وتلك كانت الحالة فى جرجوفيا . حين فرت الحكومة وفر البلاط ..الى بلد عند الحدود . . بعيداً عن ميدان القتال .

وكان بين الفارين بالطبع الملك بوأسلاس الرابع . . وهو غلام فى السادسة من عمره . وقد ورث عرش جرجوفيا عن آبائه وأجداده

* * *

وتبدأ حوادث هذه الروايه فى صبيحة يوم مظلم حزين من أيام شهر يناير . . وقد سادت على مدينة « رمبرج » سكون مؤلم . . وهى تنتظر بين ساعة وأخرى دخول أعدائها المظفرين

وكانت الشوارع موحشة مقفرة . . وقد فر الناس سيما الاغنياء فى أثر البلاط الملكي .

وأما اولئك الذين لم يستطيعوا الفرار إمالانهم لا يملكون وسائله . . ولا يملكون مالا يساعدهم عليه . . وإما لاسباب أخري . . فأولئك قد قبعوا في منازلهم . . وأوصدوا أبوابهم

ولزموا الصمت . . أو وقفوا وراء نوافذهم المغلقة . وراحوا يرقبون مجريات الحوادث في الخارج بقلق وأي قلق .

* * *

وكانت مدام اولجا دنكوفتش بين الذين ترددوا حتي اللحظة الاخيره . . ولم يقر قرارهم على شيء . . حتى أصبح الاعداء على الابواب .

كانت مدام دنكوفتش تملك أكبر فندق في المدينة وهو « الفندق الامبراطوري » الذى لم يكن له شبيه في تلك العاصمة من حيث الاتساع والفخامة . .

فهي اذا بقيت تدير فندقها حتى يأتى الاعداء . . فانها تستطيع بغير شك أن تجني أرباحاً طائلة . .

ولكن بقاءها من جهة اخرى يعرض شخصها الثمين لاخطار جمة . . يرتجف بدنها لمجرد التفكير فيها

. . .

ثم هى بعد ذلك لم تكن بحاجة الى المال بعد اذ جمعت منه الطائل الوفير . وقد كانت ارملة منذ عدة اعوام وليس لها من الاقارب من يستطيع أن يدفع عنها الاخطار

التي قد تتعرض لها اذا بقيت في المدينة . سيما وقد سمعت عن فظائع جنود الاعداء وشراستهم مايجعل الدم يجمد في العروق .

اعملت مدام دنكوفتش الفكر مليا .واستاطعت في نهاية الامر ان تقع على رأى وسط : كفيل بأن يضمن لها سلامتها الشخصية والارباح التي تتوقعها . والتي تحرص على الحصول عليها احرصها على سلامتها :

وكانت قد اعدت حقائبها . فحملتها في سيارتها : وأخذت معها كل ماخف حمله وغلا ثمنه واستعدت للفرار .

ولكنها لم تغلق الفندق كما كان متوقعا . وكما كان ذلك غرضها بادىء بدء بل تركته مفتوحا : وتركت مقاليده ثلاثة من خدمها الامناء الذين تعهد فيهم النشاط والاخلاص واولئك الثلاثه هم صوفيا الخادمة . وكازيمير العجوز الذى يستقبل النزلاء عند باب الفندق وانطوان الطاهى

وكان آخر ما قالته مدام دنكوفتش لهؤلاء الثلاثه انها وعدتهم بمكافأة جزيلة . اذا هم قاموا بواجبهم خير قيام ووضعوا نصب عيونهم دائما الحرص علي فائدتها وارباحها .

ثم ركبت السيارة . ولوحت لهم بيدها مودعة وذهبت في سبيلها

ولم تمنع خطورة الموقف . . ولا الحالة القلقة السيئة التى أصبحت عليها المدنية . . لم يمنع ذلك كله الخادمة صوفيا من القيام بما يجب عليها . كما لو لم يكن هناك خطر أو قلق . . وكما لو لم يكن الناس جميعا قد هاجروا من المدينة فلحق بعضهم بالبلاط الملكي وحمل البعض الآخر السلاح للذود عن الوطن . . وكما لو لم يكن الفندق خاليا من كل نزيل .

ولما انتهت من تنظيف الغرف . وفتح النوافذ . تهالكت على أحد المقاعد . وجلست تستريح .

كانت لا تزال صبية فى مقتبل العمر يترقرق فى وجهها ماء الشباب والجمال . . لها وجه مستدير . وبشرة ناصعة البياض وعينان سوداوان . . ينبعث منها نور اللطف . . والنشاط . . وقوة الارادة والاخلاص . وشعر طويل حالك كالليل . .

لم تكن صوفى سوى خادمة بسيطة . . ولكن ما طبعت عليه من الجمال والذكاء . وسرعة الخاطر ودقة الحساسية وقوة الارادة . كل ذلك كان يؤهلها لحياة أسعد . ومستقبل

أروع من تلك الحياة وهذا المستقبل اللذين ينتظرانها فى ذلك الفندق .

ثم هى بعد ذلك كانت وطنية صميمة وكانت تشفق على بلادها من هذه الكارثه الفادحة التى أصابتها . ولكنها كانت تأمل من صميم قلبها أن تمر هذه المحنه بسلام وأن يحسم القواد فى بلادها فلول جيوشهم . ويقومون بهجوم أخير . يردون به الاعداء على اعقابهم . ثم يسود السلام بعد ذلك وترجع المياه الى مجاريها

وكانت صوفى تحب كاز يمير الشيخ حبا جما . فقد كان الرجل من رأيها فى كل شىء .

وكان هو ايضا وطنيا صميما . ولولا شيخوخته وضعف جسده . لكان اول من حمل السلاح للذود عن بلاده المهددة بالطوفان الطاغى فكان منها على طرفى نقيض .

ورغم شبابه . وقوته وضخامة جسمه التى تضمه فى صفوف العمالقه . فانه كان يلتمس مئات الاعذار ليتخلص من الاشتراك مع مواطنيه فى حمل السلاح . والوقوف معهم جنبا الى جنب فى ميدان القتال

ذلك انه كان انانيا . محبا لذاته والانانى جبان بطبعه

وكثيرا ما كان انطوان يقول «لامر ما اذهب وأخاطر بنفسي ..

« واذا مت فما الذي اجنيه من النصر .. سيان عندي أن تحكمي سلافونيا .. أو جرجوفيا .. مادمت أتمتع بالحياة .»

ولهذا كانت تكرهه صوفي وتنفر منه . ولا تطيق أن تراه لأنانيته وجبنه .

بينما كان هو من جهته يعمل على اقناعها بصدق نظرياته وصحة فلسفته .. ليقتل شعورها الشريف . ووطنيتها الصادقة وليجعلها مثله أنانية .. قليلة الاكتراث بكل مالا يتناول فائدتها الشخصية . ولكن بدون جدوى . فانه لم يكن يزيدها الا كراهية له . ونفورا منه

. . .

كانت صوفي تفكر في هذا وأمثاله وهي جالسة في مقعدها ثم هزت رأسها أخيرا . ونهضت لتواصل عملها

الفصل الثاني

الجندي التائه

توجد عند مدخل الصالة الكبرى فى الفندق غرفة جانبية صغيرة . قد جعلت منها مدام دنكوفتش مكتبا لها .

وقد لاحظت صوفى أثناء سيرها أن باب هذه الغرفة مفتوحا ..

ولاحت منها التفاتة الى الداخل .. فرأت رجلا مستغرقا فى النوم على أحد المقاعد .

سارت بلطف وهدوء . ودخلت الغرفة . ووقفت امام النائم . فرأته شابا فى مقتبل العمر . يلبس ثياب ضابط من ضباط الفرسان بالجيش الهرجوفى . وقد تمزقت هذه الثياب وتلوثت بالدم وأصبح منظرها مما تنبو عنه العين

ولاحظت صوفى انه ليس بيديه أو وجهه شيء من الجراح أو الخدوش . وان تكن تقاطيع وجهه تدل على التعب الشديد والوصب الذى لا حد له .

فنظرت اليه طويلا بلطف واشفاق . ثم خرجت من

الغرفة ونادت :

— كازعير . انطوان

فاقبل الخادم والطاهي مسرعين .

ولما سألاها عن الخبر . سارت بهما الي الضابط النائم

فتمتم كازعير :

ـ انه أحد ضباطنا البواسل . مسكين . تلوح عليه علائم التعب الشديد ولكن كيف استطاع الدخول الي هذه الغرفة دون أن يلفت أنظارنا اليه !!

فأجاب انطوان :

— هذا بسيط للغاية .

وأشار الي نافذة مفتوحة . وأردف

— انه وثب من فوق السور الخارجي ودخل الغرفة من هذه النافذة ونام هنا بغير تكلف .

ولكن يجب عليه أن يغادر هذا المكان . ويغادره بسرعة أيضا . فان الاعداء اذا عثروا عليه هنا فتكوا به وبنا جميعا . ولم تأخذهم به شفقة ولا رحمة .

قال ذلك واقترب من النائم وراح يوقظه بخشونة وقساوة

فتألمت صوفى . والقت على انطوان نظرة تنم عن نفورها واشمئزازها ثم انحنت فوق الضابط النائم .. وقالت له بصوت هادىء عذب .

— سيدى . اسرع ياسيدى . يجب أن تستيقظ . فان الاعداء قادمون

ولـكن الضابط ظل مستغرقا فى نومه العميق الذى لم يكن ليوقظه منه دوى المدافع او قصف الرعود

تحولت صوفى الى الخادم العجوز كازيمير وقال له :

الوقت ضيق . واكبر ظنى ان هذا الجندى المسكين اذا استطاع ان يستيقظ . فأنه لن يستطيع السير على قدميه خطوتين او ثلاث . فهو منهوك القوي . كما تري ويجب ان نخبئه فى مكان ما مهما كلفنا دلك . قبل ان يجيء الاعداء ويحتلوا المدينة . لأنهم اذا وقعت ابصارهم عليه : فانهم يفتكون به بغير شفقة او رحمة

فأجاب كازيمير العجوز بما طبع عليه من الطاعة والنزول على رغبات صوفى .

ـ اتفقنا . فلنحمله بيننا بغير تردد ولكن اين نخبئه ؟

فقالت صوفي:

ـ لنبدأ الآن بوضعه في غرفة صغيرة في الطابق الاول

وبعد ذلك نفكر في الامر مليا

انت وانطوان تحملانه الآن . وانا ادلكما على هذه الغرفة .

فهز الطاهي انطوان رأسه . وقال .

ـ انا احمله؟؟ واساعدكما على تخبئته ؟؟مستحيل.

ليس في نيتي ان اخاطر برأسي، واقدمها ثمنا لهذه الحماقة والطيش . وهذه الاعمال التي هي ضرب من ضروب الالعاب الصبيانية

فكان جواب صوفي على هذه النذالة . انها صفعته بنظرة تدل على منتهى الاحتقار والاشمئزاز .

ولما كانت تعلم ان الوقت ضيق . ولا يسع للجدل انحنت فوق جسم الضابط ثانية وتعاونت مع كارتيير على حمله .

وسار به الاثنان رويدا رويدا وصعدا به الطابق الاول وكانا كلما شعرا اثناء السير بشيء من التعب توقفا

والتقطا انفاسهما ثم واصلا السير

كل ذلك والضابط مستغرق فى نومه . لا يشعر بشيء مما يقع له ولولا انفاسه الحادثة المنتظمة . لتطرق الى الذهن فى الحال انه جثة هامدة لا تستطيع حراكا .

ودخلا به الغرفة التي تكلمت عنها صوفي: وهنالك وضعاه على فراش صغير . ووقفا يلهثان من التعب

* * *

ولما افرخ روعهما . وشعرا بالراحة والطمأنينة . أخذا فى المفاوضه . وتقليب وجوه الرأى .

وبعد ان اتفقا على ان يتركا الضابط مستغرقا فى نومه بضع دقائق اخرى . اغلقا باب الغرفة جيدا . وانصرف كل منهما الى عمله

. . .

وفي هذه اللحظة بعينها حملت الريح الي آذانهم دوى الطبول التى يقرعها الجيش الفاتح اثناء تقدمه

واخذ هذا الدوى يزداد وضوحا وارتفاعا حتي اعتقد الجميع ان جيش الاعداء اصبح على الابواب

وعندئذ تبادل اصحابنا الثلاثة نظرة ذات معنى :

لم يعد ثمة مكان للشك والارتياب. فقد دخلت جيوش الاعداء المدينة وبدأ القائد يستعرض جنوده في شوارع العاصمة وميادينها

التفت انطوان الى صوفى . وقال لها وهو يشير باصبعه الى صفوف الجنود التي تخترق الشوارع اختراق الظافر المنتصر

— انك غبية وحمقاء انت وكازبير . وسوف يعثر الاعداء على هذا الضابط ان عاجلا أو آجلا . وعندئذ تكون العقوبة الهائلة . ويكون هلاكنا جميعا .

لقد خاطرت بنفسك وغامرت بحياتي معك . من أجل هذا الضابط الجبان . الذى تخلف عن رفاقه . أو هرب منهم . وجاء يلتمس ملاذا فى هذا الفندق الامين

هاهم الاعداء يملأون كل بقعة فى المدينة ولا بد أن يعثروا على هذا التعس كما قلت لك . ولكنى لا احب ان اؤخذ بجريرة أحد . أو اكفر عن خطأ قد ارتكبه سواي .

فرمقته الفتاة باحتقار شديد وقالت له بأنفة وكبرياء :

— ماذا تريد أن تقول ؟؟ . أتريد أن تقنعني بان الجبن

يقضي علينا بان نسلم الي الاعداء احد ضباطنا ذبيحة تعسة لا تستطيع عن نفسها دفاعا ؟؟

انك نذل جبان لا تعرف معني للشجاعة والتضحية . .

وقد برهنت لى على نذالتك وجبنك قبل الآن :

ولكن تذكر جيدا ماأقوله لك فى هذه اللحظة .

ان مفاجأة الاعداء لنا . وهجومهم غير المنتظر . لم يترك لرجالنا فرصة للدفاع عن انفسهم . والذود عن وطنهم . فتقهقروا فى ظروف مؤلمة .

ولكنني اعلم . ويعلم الناس جميعا انهم اشجع اهل البلقان طرا . وسوف يجمعون فلولهم . ويلمون شعثهم . ويقومون بهجوم أخير . يستميتون فيه حتى تعقد لهم الوية النصر .

وهذا اليوم الذى سيفوز فيه الوطن قريب جداً . . أنا اشعر بذلك . وربما كان اقرب مما تتصور . فهو آت لاريب فيه

وعندئذ استطيع أن ارفع عقيرتى . وأصيح على رؤوس الاشهاد قائلة انك خائن للوطن . مارق على الوطنية . وانك اخطر على البلاد من اعدائها انفسهم .

نعم . سأقول ذلك . واجعل منك عبرة لمن يعتبر . اذ تجرأت . ونطقت بكلمة واحدة . أو بدرت منك اشارة بسيطة يكون من نتائجها أن يصاب باقل اذى هذا الضابط الباسل . الذي اعتبره ضيفاً مقدساً

ثم اعلم بعد ذلك . انني وكازعير وحدنا مسئولان امام الاعداء عن هذا الضابط . واذا قضت الظروف . فانني واياه على اتفاق تام بأن نعترف للاعداء بهذه المسئولية . بحيث نخليك من كل تبعة أو لوم . فكن مطمئنا . فعسى أن يكفيك هذا الايضاح

* * *

وكانت لكلماتها الصريحة القاسية وقعها المطلوب في ذلك الجبان . فانها طمأنته على سلامته الشخصية . وطردت من نفسه كل رغبة في الخيانة . حتى رأي من الحكمة والاعتدال ان يلزم الحياد التام .

فهز كتفيه . وراح يغمغم بين شفتيه بضع كلمات . على سبيل التأكيد بأنه ينفض يديه من هذه المغامرة

ولكن الصبية لم تعبأ به . ولم تكترث لكلماته . ونهضت

في سبيلها رافعة الرأس . شامخة بأنفها . وعلى شفتيها علائم
الاحتقار والازدراء

* * *

ولما وصلت الى الغرفة الصغيرة التي تركت فيها الضابط
فتحت بابها . . وأدهشها أن ترى الضابط واقفاً على قدميه
أمام احدى النوافذ

كان دوي الطبول في الخارج . وصيحات الظفر التي
تدوي في الشارع قد أيقظته من نومه العميق . فوثب من
فراشه . . ووقف امام النافذة يرقب جنود الاعداء . وهو
مصفر الوجه . يكاد يمشي غيظاً وانفعالاً .

[illegible] يرفع خطوات في الغرفة . تحول الى الوراء . .
[illegible] الانسان
المدافع عن نفسه حتى اللحظة الاخيرة .

[illegible] بخوذته [illegible] لم يجد امامه سوى
[illegible]

[illegible] . أغلقت النافذة
[illegible] وتقدمت [illegible] واضطراب :

ـ انك فى الحق عظيم الاستهتار . عديم الروية ياسيدى الضابط . وقد كان من حسن حظك أن أحداً من جنود الاعداء فى الخارج لم يقع عليك بصره . ويرى ثيابك العسكرية التي تدل على هويتك .

لقد كدت تفسد الجهود الجبارة التي بذلتها وأبذلها فى سبيل انقاذك .

فرفع الضابط الشاب يده الى جبهته وقال بذهول :

ـ انني نمت . اليس كذلك ؟ ! . ونمت طويلا ؟ ؟

آه . لماذا لم توقظيني قبل الآن ؟

يجب أن الحق برفاقى باسرع مايمكن . مهما كلفنى ذلك

لقد اشتركنا ليلة أمس فى معركة هائلة :

وكنت فى مؤخرة الجيش . فاضطرتني الظروف القاسية والخطر الشديد أن أتخلف عن رفاقى . لادفع عنهم هجمات لاعداء الذين يطاردونهم . ووجدت نفسى أخيراً على مقربة من المدينة وقد دار بى الاعداء من كل ناحية . وكادوا يوقعون بى . . فقتلت ثلاثة منهم . وبذلك فتحت لنفسى ثغرة بين صفوفهم . استطعت الفرار منها . ولكزت جوادى بقوة .

فراح يخترق بي شوارع المدينة . والاعداء يطاردونني . الى أن نال مني العياء والوصب . فانشق جوادى تعبا على مقربة من هذا المكان .

وسمعت صوت حوافر الجياد التي تطاردني آخذا في الاقتراب ولم أشأ أن أسقط صريعا تحت ضربات سيوفهم . في معركة غير عادلة . كذلك لم أشأ أن أسقط اسيرا بين ايديهم ففكرت في أن أفلت منهم بوثبات فوق سور هذا المنزل على أمل أن أجد فيه ملجأ أفزع اليه . واختفيت فيه بضع دقائق غير أني كنت منهوك القوي لسوء الحظ . فلم أكد اهتدى حيث وجدت مقعداً . حتى غلبني النعاس .

والآن يجب على أن أرحل وأرحل في الحال. هل فهمت ؟ :

* * *

وقد أصغت صوفي الى كلامه في صمت وسكون فلما انتهى هزت رأسها ببطء وأجابت .

ـ أن محاولة الخروج من هنا في هذا الوقت هو ضرب من ضروب الحماقة . بل هو الانتحار بعينه . . وليس أقل من أن تقضى هنا هذه الليلة . الى أن يتسنى لك الفرار

تحت جنح الظلام.

أما الآن فانك بمأمن هنا . .

وصاحبة هذا الفندق .قدغادرت المدينةوهربت فى أثر الحكومة والبلاط .

واذا اضطرتك الظروف الى تعليل وجودك هنا . فانك تستطيع أن تقول بانك أحد الخدم . فى هذا الفندق دون أن تجد من يكذبك أو يحاسبك على هذا الادعاء .

فصاح الشاب بلهجة [illegible]

ـ انا الضابط الكونت [illegible] . [illegible]

فعضت صوفى شفتها [illegible] :

ـــ ما تحتمه الضرورة . يجب أن يجرى مجرى القانون . فلننتظر الآن مجريات الحوادث . ولنر ما يكون

* * *

وفى تلك اللحظة دوى طرق شديد [illegible]

[illegible] صوفى [illegible] الضابط [illegible] من خشب النافذة .

وعندئذ رأيا [illegible] باب الفندق

ثم شاهدا ضابطين وجنديين من الاعداء يدخلون الفندق

ورأيا بعد ذلك أن أحد الضابطين يكلم كازيمير العجوز

بلهجة تنم عن الصلف والكبرياء والخادم المسكين يطرق برأسه

بين الفينة والفينة علامة الطاعة .

أما انطوان . فانه أخذ يتراجع أثناء الحديث الذي دار

بين كازيمير والضابط حتى اختفى .

ولما انصرف الضابطان والجنديان . أغلق كازيمير الباب

وصعد لمقابلة صوفى فسألته :

— ما وراءك يا كازيمير ؟

فاجاب الخادم العجوز بحزن

قال لي هذا الضابط أن القائد العام للفيلق الثالث من

جيش الاعداء قد قرر اتخاذ هذا الفندق مقرا لاتساعه

ليقيم فيه مع ضباطه وأركان حربه ..

أمرني أن نعد الفندق لاستقبالهم في أية لحظة .

ثم اومأ برأسه الى الضابط عليه وقال محدثا صوفي

- هل كان سيدي الضابط بما اتفقنا عليه انا وانت

[illegible] سلامته ؟

فأجابته بالايجاب فاردف :

— اذن أرجو سيدي الضابط أن يتبعني في الحال لاخبيء ثيابه العسكرية واسلحته وآتيه بالثياب الاخرى التي تقضي الظروف الحاضرة بان يرتديها

وليعلم سيدي الضابط أن اسمه من الآن هو ماركي بتروفتش .

ولم يجد الكونت ماسى بدآ من الطاعة والرضوخ لاحكام الضرورة.

وقبل أن يغادر الغرفة في أثر كازمير التفت الى صوفي وغمغم بضع كلمات مضطربة أراد أن يعبر بها عن شكره وامتنانه وتقديره ما طبعت عليه من كرم الخلق ونكران الذات والتضحية

فأجابته الصبية في هدوء :

— لقد دفعتك الشهامة والبسالة لان تخاطر [illegible] في سبيل الوطن . وقد قابلت الاعداء وجهاً لوجه [illegible] من دواعي سعادتنا حقا ان اتيحت لنا هذه الفرصة [illegible] باقل مما يجب علينا نحو ضابط سر[illegible] من ضباط جيشه الباسل

الفصل الثالث

نشوة الظفر

سار الجنرال جوزوفتش قائد الفيلق الثالث لجيش جمهورية سلافونيا . وتبعه ضباطه العظام واركان حربه : وقصدوا الى الفندق الامبراطورى للاقامة فيه

كان الجنرال المذكور رجلا طويل القامة عظيم الهامة كبير الجثة وقد حرك فى نفسه الانتصار الساحق السريع الذي اصابه فى ايام قلائل . عوامل الكبرياء والصلف : فبدا على حقيقته رجلا متكبرا فخوراً شامخا بأنفه

وكانت عيناه الصغيرتان الضيقتان تدلان على الخبث والدهاء . وسعة الحيلة بينما كان يمص فيهما فى بعض الاحيان بريق وضاء ينطق بما طبعت عليه نفس الرجل من الوحشية والقساوة

وعلى قبحه هذا وتقاطيع وجهه التى تنفر الرائي كان الجنرال يعتقد انه فاتن خلاب وأسعد النساء تلك التى يتاح لها أن ترتمى تحت قدميه ونطارحه الغرام

فكيف اذن وقد اصاب ميزة اخري على مافيه من مميزات الجمال ونعني به ذلك النصر الذي بسحر الباب الرجال والنساء على السواء !!

دخل الجنرال الفندق الامبراطورى ومشى فيه مشية القائد المظفر

ووقع بصره على صوف وهي تؤدي عملها فوقف في مكانه لحظة واخذ يصعدها بعينيه الضيقتين ثم هتف :

— يالله لو كنت اعلم ان في « رمبرج » سماء في جمال هذه الحسناء اذن لعجلت باحتلالها منذ زمن

ما اسمك ياساحرتي الصغيره !

فاجابته باختصار

— صوفي

— ياصوفي - ياصغيرتي الحسناء ان في عينيك الجميلتين من السحر ما هو كفيل بالانتصار على قلب اكبر منتصر و لقد بحق لمت ان تسحري بذلك

وما ... بهذه ... الثقيلة ابتسم ضباطه الذين كانوا ساروعون الى مرافقته والاعجاب بكلامه بدافع المداهنة والرياء

اما الصبية فقد فر لونها وبذلت جهد الجبابرة لكي تتغلب على نفسها ولا تدع وجهها ينم عما تشعر به من الاشمئزاز والنفور .

. . .

وصعد الجنرال جزءا من السلم . ثم التفت الى صوفي وسألها :

ـ أين توجد غرفتي ياصبيه ؟ !

فاجابته بسرعة :

ـ في الطابق الاول ياسيدى : وقد اعدت لاقامتك .

ـ حسنا أيتها الصغيرة . أحرصي دائما على أن أجد النار تتلظي في موقد غرفتي .

. . . نظرة أخرى .

وقبل أن يواصل سيره . أطرق برأسه مفكرا . ثم أسر بضع كلمات . . . ضابط خلفه .

فنظر الضابط بدوره الى صوفي . ثم غمز بعينه . ظهرت على وجهه علائم الارتياح للمهمة التي كلفه بها الجنرال . فنزل السلم . . . . وخرج من الفندق الى الشارع

أما الجنرال فانه أصدر أوامره الى ضباطه ذات اليمين

وذات اليسار بضجر وفروغ صبر ثم صعد السلم . وتبعته صوفى لتدله على غرفته . وتشعل له النار فى الموقد كما طلب :

. . .

ورأى الجنرال أنه ليس فى الغرفه سواهما . فاغلق الباب وأقبل على الصبية بلطف . وأراد أن يحيط خصرها اللين الجميل بساعده القوى . ولكنها نفرت منه . وتراجعت الى الوراء فهتف :

— هل تنفرين منى يافتاة ؟ ! ألم تجدى الى الآن واحداً من مواطنيك يقول لك انه من الخطأ حتماً أن تقوم صبية فى مثل جمالك الفتان . بمثل هذا العمل الحقير فى هذا الفندق ؟!

ثم اشار باصبعه الى ثيابها البسيطة وأخذ بعد ذلك يفتل شاربيه بكبرياء ويقول :

— كونى صريحة ايتها الحسناء واخبرينى أيهما تفضلين هل تفضلين أن تضمى المكنسة بين ساعديك أم تفضلين أن تضمى بينهما قائداً عظيما مثلى

فاجابته الفتاة بتواضع مفتعل وبنغمة جعلته يشعر كأن كلماتها سياط تنهال على قفاه :

— عفوا ياصاحب السمو اني افضل المكنسة

. . .

ولكن الجنرال لم يكن من الرجال الذين يتطرق اليأس الى قلوبهم بسهولة

ثم انه كان مخمورا في كرسيه السامي فاعتقد ان الفتاة تداعبه كما هي عادة الفتيات الخليعات وان هذا النفار الذي تتظاهر به انما هو ضرب من ضروب الاغراء والتشجيع

فاقبل عليها يتحبب اليها ويحاول أن يحتويها بين ساعديه وهي تفر منه برشاقة وخفة . وتتحاشى في الوقت نفسه أن تثير غضبه وتحرك موجدته

وكاد في آخر الامر أن يستولى عليها لولا انه سمع قرعا خفيفا على الباب . ثم فتح باب الغرفة ودخل الضابط الذي كان جوزوفتش قد أسر اليه على السلم كلمات لم يسمعها احد سواه . وقال :

ـ قد قمت بالمهمة يامولاي . وبالباب رجل يحمل ماطلبته

فهتف الجنرال :

— احسنت ياجريجور . لا شك انك رجل نشيط .

وسوف اذكر لك مهارتك هذه فى انفاذ أوامرى

دع الرجل الذى عثرت عليه بهذه السرعة يدخل

فتنحى الضابط جانبا وافسح الطريق لرجل قصير القامة

له انف كمنقار الصقر يحمل بين يديه حزمتين كبيرتين

فبعد أن أدي الرجل التحية . راح يقول :

— ها أنذا تحت أمرك يا صاحب السمو ان لى حانوتا

بالقرب من هذا الفندق . ولكن تجارتى لا تجد رواجا بسبب

هذه الحرب الضروس :

على ان انتصارك يامولاي وقدوم جيشك المظفر . قد

ارجع الطمأنينة وأعاد المياه الى مجاريها وأملى كبير الآن فى

ان اوزع جانبا من بضائعى ونوعها بربح لانى يامولاي اقنع

بالربح القليل وأما بالنسبة الى سموك فانى ابيعك ما تطلب

بأي سعر تريد

وقد [illegible]

وجئت معي بتشكيلة [illegible] من الجوارب الحريرية والثياب

الفاخرة يامولاي . انظر

...

قال ذلك بلهجة مضحكة جعلت الابتسام يصعد الى شفتى الجنرال وصوفى ثم أخذ يعرض بضائعه والخادمة الحسناء تنظر الى الثياب الحريرية مما طبت عليه النساء جميعا من الفضول دون ان تعرف الغرض من هذا الكرم الحاتمى الذى يغدقه عليها الجنرال بهذا السخاء

فاتفق الجنرال ما اراده لصوفى : ثم نقد التاجر الثمن بغير أن يساومه فخرج هذا الاخير راضيا شاكرا

ثم التفت الجنرال الى صوفى وهتف قائلا .

ـ انظرى كل هذا لك . لكى لا تقولى أنى اجهل ما تصبو اليه الغنيات الحسان

وعندئذ أدركت صوفى الغرض الذى يرمى اليه الجنرال

[illegible] عليها [illegible] وذهبت نحو الباب تريد الخروج :

ولكنه وقف في طريقها .

وفى هذه اللحظة تم طرق على الباب وفتح ذلك الباب

مرة أخرى [illegible] شخص [illegible] غيظا وصاح .

ـ من هذا [illegible] الذى جاء يضايقنى فى هذه اللحظة

وكان القادم هو عين الضابط الذى سمع كلمات الثناء من

فم الجنرال منذ لحظة فقال بصوت المذنب

ـ عفوا يامولاى عفوا ولكن الجاسوس بتروف قد جاء فى هذه اللحظة وهو يقول أن لديه معلومات في شدة الاهمية يريد أن يدلى بها اليك

فتغيرت ملامح جوزوفتش في الحال وظهرت على وجهه علائم الاهتمام وقال وقد نسي محاولاته الغرامية :

ـ اذن دعه يدخل فى الحال ..

وفتح الباب مرة أخري ودخل منه رجل نحيف القامة يلبس معطفا طويلا وقبعة من الفرو

فانتهزت صوفى هذه الفرصة وانسلت الى الخارج

الفصل الرابع

الجاسوس

وفى هذه الاثناء . كان الضابط الشاب الكونت ماشى
قد خلع ثيابه العسكرية واسلحته واستعان بكازيير على اخفائها .
ثم ارتدى ثوبا قديما من ثياب الخدم . وتأهب للقيام بالدور
الذى فرض عليه أن يلعبه فى ذلك الفندق .

فدخل الكونت الى قاعة الطعام . وأخذ فى اعداد الموائد
بنفس نافرة مشمئزة . وبعد لحظة لحقت به صوفى .. ورأت
فى تقاطيع وجهه آثار العاصفة القوية التى تعصف فى اعماقه .
لم تقض عليه الظروف القاهرة ان يلبس ثياب الخدم
فحسب . بل قضت عليه ايضا أن يقوم بالخدمة . . وبخدمة
أعدائه واعداء بلاده . الذين يمقتهم بكل ما اوتي من قوة .

فراحت صوفى تسر اليه كلمات التشجيع . وتنصحه بان
يلزم الهدوء والرزانة .

ثم اقبل أحد الضباط . وطلب أن يعد الشاي للجنرال

واركان حربه .

فالتفتت صوفي الى الكونت وقالت له :

— جاء دورك ياصاح .. عليك أن تقوم بخدمة هؤلاء الضيوف غير المرغوب فيهم . وسأذهب أنا لاعداد الشاي . ولكني استحلفك بكل عزيز لديك ألا تقول أو تفعل شيئاً ينم عن حقيقتك . ويفضح امرك . . والا هلكنا جميعا .

فوعدها أن يفعل كل مافي وسعه . لاتقان دوره . بدون أن يعرض نفسه للفضيحة . أو يعرضها هي ورفاقها للهلاك

وبعد بضع دقائق . كان يحمل الشاي الى غرفة الجنرال جوزوفتش .

ولم ينتبه الجنرال لدخوله . فقد كان محوطا بضباطه العظام : والجميع يتحدثون باهتمام شديد مع الزائر الجديد المدعو بتروف .

وفي اللحظة التي دخل فيها الكونت . كان الجنرال يحدث ضباطه بقوله

— أيها الاصدقاء .. اذا قال بتروف ان الاعداء يلمون شعثهم . ويجمعون شتاتهم . ويستقدمون الامداد من الاقاليم المجاورة .

واذا قال ان قوة مدفعيتهم تفوق قوتنا .. وانهم يضعون لنا وراء كل صخرة كمينا . وينصبون لنا في كل واد فخا محكما يقول الحقيقة التي لا تقبل شكا او ارتيابا . لان الذي يتكلم هو بتروف . الذي يعد على الاعداء حركاتهم . ويحصي عليهم انفاسهم . ولا ينطق بحرف قبل أن يثق من صدقه . ولا يدلي برأي قبل أن يزنه .

والآن . عليك ايها الصديق بتروف أن ترجع الى الاعداء مرة أخرى . وتلتمس لنا مكان مدفعيتهم لننقض عليهم ونفنيهم . ونجردهم من السلاح الوحيد الذي يمتازون به علينا . وثق ان جزاءك هذه المرة سيكون اعظم مما تتصور .

* * *

وفي هذه اللحظة فقط . لاحظ الجنرال وجود الخادم .

وكان هذا الاخير قد وقف في مكانه عند سماعه موضوع الحديث . وقد امتقع وجهه . وأصبح يحاكي وجوه الاموات ومع ما بذله من الجهد ليتغلب على تأثره فان شفتيه ظلتا ترتجفان بقوة

ولكن لم يلاحظ عليه أحد هذا الانفعال وأشار اليه

جوزوفتش ان يضع الشاى على المائدة . . . وينصرف لحال سبيله

فأطاع ماركو : . وغادر الغرفة بخطوات متثاقلة.

ولما اصبح خارجها . . لاحظ ان الجندى المكلف بحراستها غير موجود . . فأجال الطرف حوله باضطراب . ثم الصق اذنه بالباب وراح ينصت الى بقية الحديث . وعيناه تلمعان غيظا وغضبا .

وانتهى ذلك الحديث بان قال جوزفتش محدثا بتروف

ـ اذهب الآن ايها الصديق فلاديمير بتروف . والله يعينك ويعدك بقوة من عنده . واعلم بان نجاح جيشنا . وفشل اعدائنا . يتوقف على الانباء التى انتظرها منك هذه المرة بسرعة ودقة .

* * *

وكانت صوفيا تنتظر عودة الكونت ساسين بفروغ صبر شديد [illegible] استبطأته . [illegible] [illegible] . [illegible] مكتبه [illegible] [illegible] اليه . ووجدته على الحالة التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ساعة [illegible] من الضبط [illegible] [illegible]

فاستولي عليها الفزع . . وجذبته بقوة . . وسارت به
الى غرفة الطعام . وهناك قالت له مؤنبة .

انك مجنون ياهذا . . ولو رآك أحد علي تلك الحالة
لما كان نصيبك غير الموت الزؤام

فهتف الشاب .

— اني لا أعبأ بالموت . . انت لا تعرفين . . . انت
لا تفهمين شيئا .

هذا الرجل الذي [illegible] هو يتروف . . يتروف
[illegible] . . فهم انى هذا العصر السريع .
[illegible] بص عليه .

[illegible] ساحقة . [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]

[illegible]
[illegible] وتوسلت اليه اعينها
[illegible] ثم نطرات

آخذة فى الاقتراب .

وماهى الالحظة : حتى مر بتروف يتبعه ضابطان فجمع الكونت ماسي قبضته واوشك ان يرتكب حماقة جديدة . ولكنه شعر باصابع صوفى تهتز فوق كتفه : فتذكر فى الحال انه لا يستطيع ان يقوم بشيء من التضحية فى سبيل وطنه . . مالم يعرض للخطر حياة هذه الصبية المسكينة التى تعمل على انقاذه .

. . .

وانقضت بقية ذلك النهار . دون ان يحدث بالفندق الامبراطورى مايستحق الذكر [illegible]

وفى المساء . : كانت صوفى والكونت ماسى وكازيمير وانضوان يتناولون طعام العشاء . حين اقبل ضابط تتبعه احد الجنود . . . ونظر الى صوفى بدقة وقال لها .

— قد صدر الى الامر بفحص الاوراق الشخصية التى تخص [illegible] هذا الفندق

[illegible] الطاهى [illegible]

الوانق من نفسه . وأخرج [illegible]

بعض الاوراق . وقدمها للضابط بهدوء واطمئنان

وانتهزت صوفى فرصة اشتغال الضابط بفحص هذه الاوراق وهمست فى أذن الكونت ماسى . الذى كان يتناول الطعام بجوارها :

— كن مطمئنا. ودعنى أعمل . ووافقنى على كل ماأقول

ونهضت هى بدورها . وجاءت باوراقها الشخصية .

ثم التفت الضابط الى الكونت ماسى . وقال له بلهجة جافة . .

ـ وأوراقك ؟؟

وعندئذ بادرت صوفى الى مساعدة الكونت بان قالت للضابط . .

ـ انه فقد أوراقه منذ بضعة أيام . وكان هو شخصيا شديد الحزن لذلك ولكن كن مطمئنا . انه يشتغل معنا منذ مدة طويلة وكلنا نضمنه .

وهز كازمير رأسه موافقا . أما انطوان فانه ابتسم بخبث ولكن نظرة صارمة من عينى صوفى . جعلت الابتسامة تتلاشى فوق شفتيه .

ولكن الضابط لم يقتنع بهذا العذر وقال للكونت ماسى بنفس الخشونة :

ليست معك أوراق؟ أليس كذلك ؟ هذا شيء . وسيء جداً فى أوقات الحرب . وعليك أن تجيب عن ذلك أمام جهة الاختصاص .

أما الآن فاتبعني .

وأشار الى الجندى الذى معه أن يقبض على الكونت وعبثا حاولت صوفى أن [illegible] عنه . وتمرت فى [illegible] بحرج الموقف . ولكن ذهنها كان يكد ويكدح بسرعة البرق الخاطف . فانطلقت فى الحال الى غرفة الجنرال . وطلبت [illegible] الجندى الذى يحرس الباب أن يسمح لها بمقابلته .

ولكن الجندى هز رأسه وقال :

[illegible] الآن [illegible] الى الأمام .

[illegible] فى [illegible] . وأدركت أن الكونت [illegible] خرج من الفندق [illegible] [illegible] الا [illegible] ذات .

— عندي أشياء هامة أريد أن أقضي بها اليه فى الحال

فاذا لم تسمح بالمقابلة فانني أؤكد لك أنه ينزل بك عقابا شديدا .

وقد نطقت بهذه الكلمات بثبات ورباطة جأش مما اقلق الجندى .

فقرع الباب . ولما سمع صوت الجنرال يسمح له بالدخول دخل وقال

— عفوا يا صاحب السمو ولكن يظهر أن لدى هذه الصبية أشياء هامة تريد أن تفضي بها الى سموك :

. . .

وكان الجنرال ممددا على مقعد كبير يستريح ويستعرض في [illegible] من فخار ومجد .

وثمة [illegible] في [illegible] البلدية تكريما له .. وقدمت فيها الشمبانيا . وأنواع النبيذ الفاخر

فنهض من مقعده متثاقلا . متجهما ولكن وجهه تهلل [illegible] في الحال . عندما وقع بصره على الصبية . الحسناء وهتف :

— آه . أهذه أنت . أدخلي .

ادخلى أيتها الحسناء .

ثم التفت الى الجندي وأردف :

ـ أما أنت فاخرج أيها الحيوان . ولا تدع أحداً يقلق خلوتى بهذه الساحرة .

فخرج الجندي مسرعا . .

وراحت صوفى تقول

ـ ياصاحب السمو . : انهم يريدون القبض على أحد الخدم . لانه اضاع أوراقه الشخصية من سوء الحظ . فاضرع اليك أن تتداخل فى الامر . وتحول دون ذلك .

فقضب حاجبيه وقال :

ـ أهذه هى الاشياء الهامة التى ذكرها هذا الجندى الغبى !

فرفعت اليه عينيها الصافيتين الساحرتين ووضعت فى نظرتها كل ما فى كينونتها الشهوية من قوة الاغراء . والتشجيع وقالت له بصوت أعذب من أنغام الموسيقى

ـ وهل يوجد ماهو أهم من هذا ياصاحب السمو . .

الخدم فى هذا الفندق قليلون . وبالكاد يستطيعون القيام بما يأمر به سموكم

تعال يامولاي . تعال وانظر ذلك بعينيك .

وتناولت يده بلطف . وجذبته معها بغير كلفة .

فتبعها وعلى شفتيه ابتسامة :

ولما وصلت به الى غرفة الطعام . وجدت أن الجندى قد خرج بالكونت . .

فهرولت الى النافذة . وقالت للجنرال :

ـ انظر يامولاى . . انظر . انهم يخرجون به .

أضرع اليك أن تمنعهم من اقتياد هذا الشاب الباسل الذى اعتبر وجوده فى الفندق ضروريا لانتظام العمل . واقسم لك يامولاى انه أبعد من أن تحوم حوله الشكوك . . أنا ضمينة له وكذلك كازيمير

اليس كذلك ياكازيمير ؟

ـ نعم يامولاي . . نعم . أنا أضمنه بقبعتى

* * *

وكان الجنرال ثملا بنشوة الشمبانيا التى جرعها بغير حساب فى حفلة دار البلدية :

فلم يعد يشعر الا بالجسد الدافىء الغض الجميل . جسد

الصبية الحسناء . وهى تلتصق به . وتضرع اليه بفمها ونظراتها أن يخلص الخادم

فضرب بالعقل والروية عرض الحائط . وأطل من النافذة . وصاح

ـ اتركوا هذا الرجل

وما هى الا لحظة . حتى وجد الكونت ماسي حراً طليقا على غير انتظار . .

فرفع عينيه الى النافذة التى صدر منها أمر الافراج عنه ورأى صوفى واقفة مع الجنرال جنبا الى جنب .

وتنهدت صوفى بارتياح شديد . كأنما ازيح عن صدرها حمل ثقيل . ثم غمغمت ببضع كلمات تشكر بها جوزوفتش . وهمت بالعودة من حيث أتت .

ولكن جوزوفتش [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الفتاة [illegible] الخبيثة وبعد [illegible]

[illegible] من الحكمة [illegible] [illegible]

حتى لا يرجع فى الامر الذى أصدره . . ويلغى العفو الذى تمل به الكونت ماسى

* * *

ولما دخلا مخدعه . مد الجنرال يده . واغلق الباب بسرعة . ثم أشار بأصبعه الي كومة الملابس والجوارب الحريرية التى ابتاعها من اجلها . والتى بقيت فى موضعها ذاك منذ الصباح . وقال باصرار :

— قلت لك قبل الآن انى ابتعت كل هذا من أجلك وانى أود من صميم قلبي أن أساعدك على استبدال ثيابك . فاسرعى اذن . . فانى فى غاية الشوق الى رؤيتك والاعجاب بك . فى هذه الثياب التي تليق بك

* * *

وعندما نطق بهذه الكلمات . رأت صوفى فى عينيه بريق الوحشية والقساوة . فلم تفزع . ولم ترتعب . وظلت ترى أن من حسن الحيلة أن تنزل على ارادته حتى اللحظة الاخيرة . الى أن تهدأ ثائرته ويخلد الي السكون

. . .

ولما أراد أن يساعدها على استبدال ثيابها .. لم تسمح له بذلك فى شىء من الرقة . وتراجعت وراء حاجز فى الغرفة . وخلعت ثيابها القديمة وارتدت الثياب الجديدة .

وخرجت من وراء الحاجز . فى غلالتها الحريرية الرقيقة التى تكشف عن تكوينها البديع . وقوامها الغض المعتدل .. وشبابها اليانع .. وبدنها الذى يحرك الدم فى عروق السكون .

ولما وقع عليها بصر جوروفتش . وقف الرجل مذهولا مفغور الفم . يقلب يديه دهشة . ويهز رأسه عجبا

ثم تقدم اليها باسطا ساعديه ليحتويها فيهما . ويضمها الى صدره : :

ومرت فى جسد أماة قشعريرة قوية . حين رأت الوحشية والبهيمية اللتين تنم عنهما تقاطيع وجهه .

ولكنها كتمت اشمئزازها وملكت شعورها وسمحت له ان يهبها تخديراً [illegible]

وما زالت به تداعبه وتضاحكه وتملأ كأسه [illegible] ولعله [illegible] حتى [illegible] جفناه [illegible] رأسه على صدره [illegible] لسلطان النوم . فانتهزت

الصبية هذه الفرصة وفتحت الباب وانسلت منه الي الخارج

• • •

ولما عادت الي قاعة الطعام . وجدت الكونت ماسي في انتظارها وقرأت في عينيه علائم الدهشة الشديدة والاعجاب العميق حين وقع بصره عليها في تلك الثياب الانيقة

كذلك لاحظت على وجهه آثار الحيرة والقلق ولكنها قصت عليه كل ما حدث فتناول يدها ورفعها الي شفتيه وطبع عليها قبلة طويلة حارة دلالة على شكره وامتنانه

الفصل الخامس

انا القاتل

وانقضت بعد ذلك بضعة ايام توثقت فى خلالها أواصر الالفة والمودة بين الخادم المزعوم : والخادمة صوفى :

ثم أخذت هذه العلاقة تتطور بسرعة . حتى استحالت الى عاطفة أخرى متلهبة . وأصبح كل منهما يعد الدقائق التى يقضيها بعيدا عن زميله :

وكفت صوفي عن العمل طبقا لارادة الجنرال الذى كان يجب أن يراها دائما رشيقة خلابة . فى ثيابها الحريرية الجذابة

ورأت صوفى أن تنزل على غرضه . وتسمح له فى بعض الاحيان أن يغازلها ويتحبب اليها . وهى تعلم حق العلم أن سلطانها عليه . وآماله فيها . ورضاءه عنها . كل ذلك خير ضمين سلامة ان كونت الكسيس ماسى .

وقد قامت الصبية الخبيثة بدورها حق قيام : فكانت تثير بها اعجاب الجنرال الى أقصى حد . وتخلب لبه برشاقتها وتخادعه بخلاعتها . . ثم لا تسمح له قط بما يشتهيه منها . حتى

ضاق الجنرال ذرعا بها . واستولى عليه الغيظ وفروغ الصبر .

أما الكونت ماسى . فانه كان يراقب بقلق لاحد له هذه اللعبة الخطيرة التي اقدمت عليها صوفى من أجله .. ولا يعلم كيف ستكون نتيجتها .

* * *

وفى ليلة ما . . اقام الجنرال جوزوفتش فى الفندق الامبراطورى حفلة راقصة . استقدم اليها بعض فتيات المدينة المحتلة .

وجرع فى تلك الليلة من كؤوس الشمبانيا ما ذهب بوعيه . ورقص مع صوفى اشواطا عديدة . ثم اختصرها . . ومشى بها الى غرفته . والفتاة لا ترفض ولا تتمرد .

وعند ماوصل الى غرفته . تهالك على مقعده .. واجلس الصبية على ركبتيه . وأخذ يداعبها . ويختلس منها القبلات . ويقول لها انه لايستطيع عنها صبرا اكثر مما صبر . وانها لا بد أن تنزل على رغباته فى تلك الليلة ذاتها .

* * *

وكان يتكلم باصرار وخشونة : حتى ارتاعت الفتاة .
ولكنها ظلت دائما سريعة الخاطر . حاضرة الذهن ..
واسعة الحيلة . فتظاهرت بانه ليس أحب اليها من أن ترضيه .
وتنزل عن رغباته .
ثم استأذنته فى بضع دقائق . تعد اثناءها مخدعا فاخراً
من مخادع الفندق الامبراطورى . وقع عليه اختيارها هى
ليقضيا فيه معا تلك الليلة اللذيذة .. فسمح لها بالذهاب وهو
يكاد يطير فرحا وسروراً .

* * *

وتركته الفتاة . ودخلت الى الغرفة المجاورة وهناك راحت
تفكر فى كثير من القلق .
كانت تريد فى هذه المرة ايضا أن تتجنبه . بغير أن تثير
غضبه . [illegible] هذه [illegible] التى تحلو فيها الى [illegible]
أن [illegible] تخلصها [illegible] .
التى كانت [illegible] باهول ال[illegible]
[illegible] يمكن [illegible]
أو تتوقعه

فان جوزوفتش لم يكد يخلو الى نفسه ويصور له ذهنه ذلك الافق العريض من السعادة واللذة الذى ينتظره بين احضان الصبية فى تلك الليلة حتى استولى عليه نوع من السرور الوحشى . فاقبل يصب الخمر ويزدردها بجشع .

وكان بين الجسم . فصعدت ابخرة الكحول الى رأسه بسرعة . وثقلت اجفانه مرة أخرى . فنام فى مقعده نوماً عميقاً

. . .

أما صوفى . فانها ظلت فى الغرفة المجاورة الى أن سمعت غطيط الجنرال . . فابتسمت بسرور وارتياح وخرجت من الغرفة فى بطء وهدوء وقالت للجندى الذى يحرس الباب :

— ان الجنرال نائم . فلا تدع احداً يوقظه . انه امر بذلك قبل أن ينام

فاطرق الجندى برأسه

كان العمال فى القاعة الكبرى يرقصون ويضحكون [illegible] ثم مرت صوفى امامهم متمهلة . وراحت تبحث [illegible] فى عمله الذى تضاعف بسبب المرقص

ولكنها لم تجده .. بل وجدت كازيمير وهو يروح ويجيء بقلق شديد

فلما وقع بصره عليها . أومأ اليها بان لديه مايقوله لها .

فاقتربت منه . وهمس فى اذنها :

ـ انى فى أشد حالات القلق . فقد عاد جاسوسهم المشهور فلاديمير بتروف اثناء غيابك مع الجنرال

وقد استطعت أن اسمع من أفواه بعض هؤلاء الضباط السكارى . أن الجاسوس يحمل أنباء على جانب عظيم من الخطورة

وكان الجاسوس متعبا منهوك القوي . فطلب أن يغتسل ويستبدل ثيابه . قبل أن يقابل جوزوفتش

فصعد معه الكونت ماسي الى الطابق الثانى ليقوم على خدمته . ولكنه لم يعد بعد ذلك .

ربما كان قلقى لااساس له . ولكنى فى أشد حالات الحيرة والفزع .

..

لم تنتظر صوفيا لتسمع أكثر من ذلك . فصعدت السلم مسرعة . وأخذت تفتش عن الكونت ماسي فى الطابق الثاني

ولكنها لم تجد له أثرا.

تساءلت:

ترى ماذا أصابه؟ وهل يمكن أن يكون قد وقع فى قبضة ذلك الجاسوس اللعين؟

ثم هل يمكن أن يكون قد غادر الفندق بغير أن يقول لى كلمة. وبغير أن يودعنى؟

وعضت شفتيها بمرارة

ولما اقتربت من الجناح الخاص بالمغسل والحمام. سمعت صوت طلق نارى مكتوم.

فذعرت. ووثب قلبها بين ضلوعها ولم يستطع قدماها أن يحملاها [illegible] على الجدار ورفعت يدها الى قلبها كأنما [illegible]

[illegible]

ثم مدت يدها المرتجفة الى باب المغسل وفتحته

[illegible] يكن ذلك الباب مغلقا من الداخل كما ظنت بادىء [illegible]

[illegible]

[illegible] بصرها على منظر جعل الدم يجمد فى عروقها

. . .

رأت الجاسوس فلاديمير بتروف ممدداً فى أرض الحمام والدم يسيل من جرح فى صدره وهو جثة هامدة لا تأتى بحركة

وقد وقف الكونت الكسيس ماسي على بعد خطوتين منه وفى يده مسدس لا يزال الدخان يسيح امام فوهته .

. . .

وتنبه الضابط الشاب الي دخول صوفى ورأى علائم الفزع والانزعاج على وجهها الشاحب

فلم يترك لها الوقت الكافى لتلقى عليه آلاف الاسئلة التي تتزاحم على شفتيها بل راح بنفسه يقول بصوت هادىء

ـ نعم أنا أنا الذى قتلته فقد أعددت له الماء ليغتسل ثم ذهبت لآتيه بالمنشفة .

ولما عدت . وجدته داخل الحمام . ورأيت على هذه الطاولة الصغيرة اوراقا عديدة . علمت فى الحال أنه لا بد وأن يكون بينها تقريره عن المهمة التي نفذة فيها جوزيف قتش منذ أيام . والتى تتناول تحديد قوة جيشنا . ومخابىء مدافعنا .

وكان قد وضع مسدسه هذا فوق الاوراق

فأزحته قليلا . وتناولت تلك الاوراق وأخذت

اقرأها بسرعة .

وأواه ياصوفى لو علمت مابها

ان فيها الهلاك المحقق لجيشنا والانكسار الذى لاقومة

لوطننا بعده وفيها القضاء على حياة الالاف من شبابنا الناضر

قد عرف الجاسوس التعس مرة أخرى كيف يتنكر

ويندس بين جنودنا كأحد المتطوعين ويتسقطمنهم الاخبار

دون ان يفطن اليه احد.

واستطاع الشقي ان يذكر عددجنودنا علىوجه التقريب

ويحدد مواقع الضعف فى جيشنا ويعين مخابىء المدافع التى

وضعناها فى المغائر والكهوف لنصليهم بها نارا حامية . اذا

خطر لهم ان يقتحموا النصف الاخر من البلاد ويعملوا فيه

النهب والتخريب كما فعلوا فى نصفها الاول

وقد استولى على الغيظ . وأعماني الحقد فلم احسب حسابا

للخطر الذي يهدد حياتي الى ان قرأت تقرير الجاسوس برمته

وعرفت بموقف جيشنا ومركزه على وجه الدقة وبينما انا

كذلك اذ فتح باب المغسلوسمعت صوت الجاسوس وهو يقول

ـ ويل لك ايها الاثيم .

وَرأيت في عينيه بريق الغدر . فالتقطت المسدس في الحال واطلقته عليه . ثم تناولت الاوراق الهامة . والقيتها في الموقد . وها هي النيران قد اتت عليها

واشار باصبعه الى الموقد حيث صارت الاوراق رمادا ثم اردف .

ـ لست آسفا على شيء . وقد قمت بواجبي على الوجه الذي يرضي ضميري

لم يكن هناك مجال للتردد . فاما حياته واما حياة الالاف من رجالنا فقتلته في الحال

ويستطيعون ان يفعلوا بي الآن ما يريدون .

فنظرت اليه الصبية بعينيها الواسعتين الصافيتين نظرة تنم عن الحب والتقدير العميق

وقالت له .

ـ لا اريد ان تهتم [illegible] ولا أن [illegible] يزعجوك

[illegible] نافقت [illegible]

ثم [illegible] فلم [illegible] [illegible] في

الصالة الكبرى

لاشك انهم لم يسمعوا الطلق الناري

* * *

وكانت في هذه الاثناء قد استعادت رباطة جأشها فتناولت ساعد الكونت ماسي وذهبت به الى غرفه مجاورة وفتحت في هذه الغرفة بابا يؤدي الى المسدس

ثم أخذت المسدس من يد الكونت ووضعته على أرض المكان

وأغلقت باب المغسل (الحمام) من الداخل. وخرجت من الباب المتصل بالغرفة المجاورة ثم أغلقت هذا الباب أيضا. وتعاونت مع الكونت ماسي وحملا معا خزانة كبيرة للثياب. ووضعاها أمام هذا الباب.

وفعلت كل ذلك بسرعة. وبدون تردد

ثم قالت:

— انه الآن قتيل في الحمام. وباب الحمام مغلق من الداخل. والباب الآخر الذي يؤدي الى الحمام غير مستعمل عادة بل هو مغلق دائما. وأمامه خزانة ثياب كبيرة فيمكنهم بعد ذلك أن يعتقدوا بأن بتروف قد انتحر.

فاذهب الآن الى غرفتك . واذا سألك سائل . فقل انك اعددت له المغسل . ثم اذن لك بالانصراف فانصرفت . . ولم تر بعد ذلك شيئا . ولم تسمع شيئا .

فهز الكونت ماسى رأسه وقال :

ـ لا أريد الفرار من مسئولية عملى . كما يفر الجاسوس الحقير

انى جندى. واذا كان ولا بد أن أموت . فلامت كجندى

فاقتربت منه الصبيه فى تلك اللحظة الرهيبة . ورفعت اليه عينيها الواسعتين الحزينتين وتنهدت من أعماق قلبها الذى كاد فى تلك اللحظة أن يذوب اشفاقا ووجدا :

وقالت :

ـ أتريد أن تموت ؟ ألا يوجد على ظهر البسيطة مخلوق... أى مخلوق يصح أن تعيش من أجله ؟

. . .

وكان صوتها من العذوبة ونظراتها من الرقة بحيث لم يستطع الشاب الا أن يهوى على فمها الجميل بقبلة طويلة حارة وقال :

ـ بل سأعيش . وأعيش من أجلك ومن أجل الوطن انك فعلت من أجلي ما لم تفعله امرأة من أجل رجل قبل الآن . فانا أحبك وأنزل على ارادتك . وأنا افعل ما يوحيه الي ذهنك الصافي ورأيك السديد .

. . .

وكانت تعلم أن الوقت ضيق لا يتسع للمنازلة فقالت له وهي تخرج امامه بحذر :

ـ سأذهب انا وعليك أن تتبعني بعد بضع دقائق كي لا يرانا أحد سويا فنتعرض لخطر آخر

ثم اذهب بعد ذلك الي غرفتك واسترح من عناء ما قاسيت هذا المساء

. . .

وخرجت فانتظر بعدها دقيقة أو بعض دقيقة ثم أراد أن يخرج فى اثرها ولكنه سمع في هذه اللحظة وقع أقدام تقترب فتراجع الى الوراء واختفي وراء احدى الستائر

الفصل السادس

تضحية امرأة

دهش الضباط الذين استقبلو فلاديمير بتروف من غيابه وتوانيه فقد انقضت اكثر من عشرين دقيقة ـ وهي مدة كافية جدا للاغتسال واستبدال الثياب ـ ولم يعد الجاسوس المشهور ولعل فضول الضباط وشوقهم الى معرفة اخبار الجاسوس تلك الاخبار التي تتوقف عليها حظوظهم الحربية التالية لعل ذلك ما جعلهم يستبطئونه بأسرع مما يجب

ثم أن الجنرال جوزوفتش كان ينتظر قدوم هذا الجاسوس منذ يومين وهو في أشد حالات القلق

وعليه فقد صعد بعضهم في اثره ليحثوه على الاسراع

ولكنهم وجدوا الباب مغلقا من الداخل فطرقوه فلم يفتح فنادوا [illegible] فلم يسمعوا جوابا فازداد قلقهم وصح عزمهم على أن يخلعوا الباب فتكاتفوا عليه باكتافهم العريضة ضربة ودفعوه دفعة واحدة جعلته يثب من مكانه

وعندئذ وقعت ابصارهم على الجاسوس التعيس ملقيا في

ارض المكان وغارقا فى بحيرة من الرماء

اندفعوا اليه وراحوا يحركونه ولكنهم وجدوه جثة هامدة

فاسرع بعضهم الى غرفة الجنرال ليخبره

ولكن الجندى الذي بالباب تذكر كلمات صوفى فمنعهم من الدخول بحجة ان الجنرال يريد أن يستريح

غير انهم اصروا على طلبهم نظرا لخطورة المسألة والحفوا على الجندي أن يوقظه من نومه

ـ ولكن الجنرال استيقظ من تلقاء نفسه وراح يتجمع افكاره المضطربة المبعثرة ويبحث بعينيه في جوانب الغرفة عن صوفى الساحرة

وفى هذه اللحظة سمع جلبة الضباط خارج غرفته فنهض وفتح الباب بنفسه

وعندئذ أخبره الضباط بما حدث من عودة فلاديمير بتروف الى موته وقال أحدهم .

— وجدنا باب المغسل مغلقا من الداخل ومسدسه ملقى الى جانب جثته فليس اذن ثمة شك فى انه انتحر

فهز الجنرال رأسه غير مصدق وقال : ـ انتحر ؟!. لقد قلتم لى انه اخبركم بأنه جاء بانباء على جانب عظيم من الاهمية والخطورة

فهل تعتقدون انه بعد أن خاطر بحياته فى سبيل استلقاء هذه الانباء يجيء الى هنا لينتحر ؟!

هذا غير معقول

قولوا انكم انخدعتم بالمنظر الذى رأيتموه امامكم. والذى قد اعده القاتل أو القتلة على سبيل التغرير والخداع

أما أنا فأقول . واؤكد أن تروف مات قتيلا

ولكن من الذى قتله ؟ وكيف ؟.. ولماذا ؟! هذا ما آمل أن نصل الى معرفته قريبا جدا

سأصعد بنفسى وافحص مكان الجريمة ثم استجوب كل الغرباء فى هذا الفندق

وانما عليكم أن تصدروا الأوامر [illegible]

جميع غرف الفندق . وربما يجدون القاتل مختفيا فى مخبأ ما

أصلح من شأنه بقدر ما استطاع و صعد الى الطابق الثاني

وهناك وجد جثة الجاسوس كما تركتها صوفى

ولما وقع بصره على الموقد ورأى به آثار الاوراق المحترقة لم يعد لديه شك فى أن الجاسوس مات قتلا وان قاتله انما أراد الاستيلاء على أوراقه ومنعه من الافضاء بالمعلومات الهامة التي عرفها عن جيش الاعداء

فاستشاط الجنرال غضبا ونزل السلم مسرعا

وكان خبر الجريمة قد وصل الي كل الاسماع فكف الضباط عن الرقص

ودخل الجنرال الصالة الكبيرة وهو مقطب الجبين . منجهم الوجه فساد الصمت العميق واتجهت اليه كل الانظار وحبس الضباط أنفاسهم في انتظار الاوامر والاجراءات الجديدة

. . .

أما الجنرال جوزوفتش فانه جلس امام طاولة صغيرة وأحاط به أركان حربه

ثم أمر باستدعاء خدم الفندق وأخذ يستجوبهم بنفسه

وكانت صوفى قد عادت ورأت كل هذه الاجراءات الخطيرة تتم دونها ولكن جوزوفتش لم يفكر في استجوابها لاعتقاده بأن هذه المخلوقة الساحرة لا يمكن بحال من الاحوال أن

يكون لما ضلع فى مثل هذه الجريمة الرائعة التى تقشعر منها الابدان

. . .

وجيء بانطوان وكازمير وبعض النسوة اللواتى دعين للاشتراك في المرقص وأخذ الجنرال بنفسه يستجوبهم واحداً بعد واحد ويطلب منهم أن يقدموا له حسابا دقيقا عن الساعة الاخيرة وكيف صرف كل واحد منهم كل دقيقة من دقائقها

فعلوا ذلك ولم يجد الجنرال فى أقوالهم ما يريب

و ا هى الا لحظة حتى أقبل الجنديان اللذان أنيط بهما تفتيش الفندق ومعهما ماركو المزعوم

وكان ماركو أو بعنى آخر الـكونت ماسي قد اختبأ وراء الستار كما ذكرنا الى أن حطم الضباط باب المنزل وا كتشفوا جثة الجاسوس ثم هرولوا لنقل الخبر الي الجنرال كما مر بك ثم صعد الجنرال ليرى الجثة بنفسه وسمعه الـكونت وهو يشتم ويصخب فحبس أنفاسه الى أن خرج الجنرال واتباعه فانتظر لحظة أخرى ثم خرج من مخبئه . ومشى فى طريقه الى غرفته

ولكن الجنديان صادفاه في الطريق فقبضا عليه وساقاه الى الجنرال

وبدأ الجنرال فى استجوابه ... فكان الكونت يجيب على

سئلته بما او عزت به اليه صوفى .

الى ان احرجه الجنرال باسئلته الكثيرة الدقيقة . فقال

مرة أخرى .

ـ انا لم ار شيئا . ولا اعرف شيئا

كل ماهنالك انى اعددت له المغسل . وجئته بالمنشفة .

ثم صرفنى فانصرفت . . . هذا كل ماهناك

فقال جوزوفتش بحدة .

ولكن اين ذهبت بعد أن صرفك ! ! هذا ماأريد

ان اعرفه .

فصمت الكونت الكــ.ـن ماسى . وظهرت على وجهه

علائم الحيرة

قال الجنرال .

تكلم ياهذا . وأخبرني ماذا فعلت بعد أن تركت

ـوب فى المغسل . الى ان قبض عليك الجنديان !!

سكون . وصمت

قال الجنرال :

انك تكتم شيئا . ولا ريب .. ولا تريد ان تعترف بانك القاتل

اذا كنت بريئا . فانك تستطيع ان تبرهن على ذلك بكل سهولة وبساطة : وما عليك الا ان تجيب على سؤالي هذا ..

وسأترك لك خمس دقائق للاجابة . فاذا لم تتكلم ألقيتك في السجن وشنقتك في الصباح : بدون اى تحقيق او محاكمة

فاختر لنفسك مايحلو ..

***

وفى هذه اللحظة . ادركت صوفى ان الشاب قد وقع وانه هالك لا محالة

وساد سكون عميق .. وأخرج الجنرال ساعته . وأخذ يعد الدقائق

وبينما الجميع قد حبسوا انفاسهم اذا بصوفى تتقدم بجرأة وهى لامعة العينين .. وتقول بصوت واضح مسموع .

— مسيو كرو . لماذا لا تقول لهم الحقيقة . وتخبرهم انك قضيت ذلك الوقت معى . فى غرفتى . وفى فراشى ؟

اتفضل ان تموت على ان يكون شرفى مضغة
في الافواه ؟

انا اشكرك من صميم قلبي على هذه التضحية الكريمة
ولكنى لا اقبلها . ولا اقبل ان تكون حياتك ثمنا لها . .
ولذلك تقدمت الان . واعترفت عنك بهذه الحقيقة .

. . .

وهنا حملقت كل العيون الى صوفى وقرأت الفتاة في نظرات
القوم علائم الاحتقار والاستهزاء . فاطرقت برأسها

اما جوزوفتش . . فانه لم يكد يسمع هذه الكلمات . حتي
استولى عليه الغضب . فنهض واقفا . وقد نسى بتروف ومقتله
ودق الطاولة الصغيرة بقبضته حتى كاد يهشمها . وصاح
— آه . لاجل ذلك تشجعين على باتمك . وتهزأين بي
وتخدعينني لاجل هذا الخادم الحقير .

فقالت صوفي بهدوء .

— ولكني انا ايضا خادمة .

فصرخ الجنرال .

— مادام الامر كذلك :. فلا تتبختري فى هذه الثياب
.

الحرية فانى لم ادفع ثمنها الباهظ لمزاج عشيقك اللئيم .

فعض الكونت ماسى على شفته .

ودفع الجنرال المائدة دفعة قوية القتها على الارض . وهجم على الصبية بخشونة ووحشية . وراح يمزق غلالتها الرقيقة باصابعه المتشنجة .

ثم صرخ :

ـ والآن . اخرجى .. اخرجى . وعودي الى مهنتك الاولى . واكنسى الارض . واسبحي فى الماء القذر .

خذى معك عشيقك الدنيء .. فقد خلق كل منكما للآخر .

ولكنى اؤكد لكما انكما لن تفلتا من رقابتى وانتقامى .

ثم التفت الى احد الجنود وقال له :

ـ اذهب بهما الى احدى الغرف واسجنهما فيها . حتى أبت فى امرهما غداً صباحا . واحبس نفسك معهما فى الغرفة حتى لا يستمتعا ان بغرامهما الاثيم

* * *

وبذلك اسدل الستار عن هذه الفضيحة . أو بمعنى آخر ، هذه التضحية السامية . وخرجت صوفى تتبعها الكونت ماسى

والجندى المكلف بحراستها .

ومد الجنرال يده الى احدى الموائد . وتناول زجاجة شمبانيا . فدق عنقها ورفعها الى فمه .

ثم التفت الى ضباطه واركان حربه . وصاح والدم يملأ عينيه :

— وانتم أيها الرفاق . ارقصوا .. واشربوا

اليوم خمر وغدا امر .

نحن اليوم الفائزون المنتصرون .. وغداً تجثو كل « جرجوفيا » تحت اقدامنا ..

الفصل السابع

فى سبيل الوطن والحب

دخلت صوفيا والكونت ماسى احدى الغرف. ودخل معهما الجندى المكلف بحراستهما .

وجلس كل منهم على مقعد . وراحوا يتبادلون النظرات .

وكانوا على مقربة من الصالة فسمعوا هتاف الضباط للجنرال .. ثم ضجيجهم وضحكاتهم وهم يشربون ويرقصون .

وظل الثلاثة على صمتهم . لا ينبس احدهم ببنت شفة .

ثم بدأ الجندي يتثاءب .

ثم كأنما اغاظه أن ينصرف الآخرون للهوهم وسرورهم . ويقبع هو فى هذه الغرفة ليسهر الليل كله .

ورأت صوفى على وجهه علائم الغيظ . فقالت له فجأة :

ـ اذا أردت فانني أدلك على مكان الشمبانيا .

فنظر اليها بخبث .. وقال :

ـ لكي تنتهزى فرصة غيابى ، وتهربى اليس كذلك ؟!

فهزت كتفيها وقالت بقلة اكتراث :

ـ انت مخطىء ياصاح .. لانك تستطيع أن تغلق الباب بالمفتاح من الخارج .

فرفع بصره الى الباب . ثم تهلل وجهه وقال :

ـ صدقت .

وتردد لحظة ثم عاد فقال :

ـ وبعد . فانني أرى انكما جملان وديعان .. وماذا يهمني اذا استمتعتما بغرامكما اثناء غيابي .

انما على شرط

ـ ماهو ؟

ـ الا تخبرا الجنرال بذلك .

فضحكت صوفي من بلاهته . ونظرت الي الكونت نظرة حزن وألم .

. . .

وصح عزم الجندى أخيراً على أن يلتذ بطعم الشمبانيا ولو مرة واحدة في حياته . فخرج من الغرفة بعد أن أغلق بابها واحتفظ بالمفتاح . .

وما كاد يغيب عن أنظارهما . حتى طرح الكونت بنفسه

عند قدمي صوفى وتناول يدها . وطبع عليها قبلة حارة .

وقال :

ـ أيها الملاك الطاهر . ماذا فعلت من أجلى ؟

فتمتمت صوفى قائلة :

ـ إنك ضيف مقدس فى هذا الفندق . ويقضى على الواجب أن أضحى من أجل سلامتك كل ما أملك

قال :

ـ لتهنأ جرجوفيا بنسائها . اذا كن جميعا على شاكلتك

ـ لم أفعل غير ما يجب على نحو جندى مخلص يدافع عن بلادى والآن اصغ الى . لا نزال نستطيع أن نؤدى خدمة جلى لوطننا المقدس . : فلننتهز هذه الفرصة ولنتكلم .

تكلمى .

ـ اذا بقينا فى هذه الغرفة حتى الصباح . فاننا قد لا ... من انتقام الجنرال . وانا اذا استطعنا الفرار .

وصمتت .

قال

ـ وكيف نستطيعه ؟

ـ المسألة بسيطة . . متي عاد الجندى . فلنقض عليه معا .
ونقيده ونكم فمه . ثم نجرده من ثيابه . وترتديها أنت . .
وتستطيع بذلك أن تغادر الفندق بغير أن يحوم حولك شيء
من الشكوك . .

ـ وأنت ؟ ! .

ـ أنا ؟ ! أ[illegible] تي فى هذه الغرفة الي أن تعود . وبعود
معك جيشنا الباسل .

ها أنت ترى القائد وضباطه يحسون الخمر بغير حساب
فما هى الا ساعة أو بعض ساعة حتي يغلبهم النعاس فيرقدون
وأنت قد قرأت تقرير الجاسوس بتروف ولا بد أن
تكون [illegible] أقرب الفيالق الجرجوفية من هذه المدينة
فذهب [illegible] على عجل . و[illegible] . وقل لهم أنهم
يستطيعون الاستيلاء على العاصمة بسهولة . ويستطيعون أكثر
من ذلك أن يأخذوا العدو على غرة . [illegible] عن بكرة أبيه
[illegible] والضباط كلهم سكرى كما ترى .

و[illegible] أنا هنا فى الانتظار . و[illegible] أن حياتى وسلامتى
تتوقفان على [illegible] . فاذا بزغت شمس الغد . ولم تجىء

جنودنا هذا الفندق . فانك تستطيع أن تستودع عند ربك روح تلك التى ضحت آخر قطرة من دمها فى سبيلك :

فاغرورقت عينا الـكونت بالدموع . وأهوى على شفتي الفتاة تقبيلا . .

. . .

وما هي الا لحظة . حتى فتح الباب . ودخل الجندى . حاملا بضع زجاجات . فانقض عليه الـكونت . ووضع يده على فمه . ثم قيده . وكم فمه بمساعدة صوفى .

ثم جرده من ثيابه . وارتداها هو . وبعد ذلك قبل الفتاة قبلة أخرى طويلة حارة وخرج يودعه صوتها الحنون وهي تغمغم — الوداع .

وفى اليوم التالى . لم يجد الجنرال جوزوفتش وقتا للتفكير فى صوفى . فانه استيقظ فى الصباح المبكر . على دوي المدافع . وطلقات البنادق :

وجاءت الانباء بان جيشا جرارا من الجرجوفيين تحت قيادة الـكونت الـكسيس ماسى قد اجتاح المدينة . وأوشك أن يستولي عليها :

ولم يجد الجنرال جوزوفتش من الوقت متسعا الا ليصدر أمره الي ضباطه وجنوده بالتقهقر .

وقبل أن ينتصف النهار . كان الاعداء قد جلوا عن المدينة وأخذ الجيش الوطني ينتقل فى الشوارع والميادين . ليطهرها من بقايا المحتلين .

. . .

وكانت صوفى بين الذين شاهدوا استعراض الجيش الوطني بفرح شديد . وقلق أشد .

فانها وقفت مع كازمير العجوز علي افريز أحد الشوارع وراحت تقلب بصرها بين الضباط علها أن تعرف بينهم الشاب الوحيد الذي خفق له قلبها :

وما هى الا لحظة حتي امتقع وجهها ثم احمر . واغرورقت عيناها بالدموع .

ذلك انها رأت الـكونت مقبلا على رأس فيلق كبير . وقد زينت النياشين والاوسمة صدره العريض .

وكان هو بدوره يقلب البصر حوله فى البحث عنها . . لانه قصد الى الفندق الامبراطورى حالما استتب لهم الحال فى المدينة .

ولكنه لم يجد لها اثرا . فاشفق أن يكون اصابها مكروه .

ولما التقت ابصارهما . في وسط هذا العيد الوطني الكبير . لكز الكونت جواده . واسرع به نحوها . ثم ترجل عنه .. واحتواها بين ساعديه .. وراح يقبلها والدموع تنهمر من عينيه . ثم التفت الى ضباطه وقال :

ـ أيها الاصدقاء .. أيها الرفاق . أقدم لكم الصبية الباسلة التي انقذت حياتي وأنقذت الوطن المقدس .

أقدم لكم زوجتي ..

فصفق الضباط . وهتف الشعب لمنقذة الوطن .

ولما التفت الكونت الى صوفي . وجدانها قد اغمي عليها بين ساعديه بتأثير الفرح والانفعال

بعد عشرين عاما

وصار اسم صوفي بعد ذلك من الاعلام المشهورة في تاريخ جرجوفيا .. وصارت تضحيتها في سبيل الحب والوطن مضرب الامثال واصبحت هذه الخادمة الفقيرة .. الكبيرة القلب مكانة عند الجرجوفيين تضارع مكانة جان دارك عند

الفرنسيين فقد طردت جان دارك الانكليزمن ارض وطنها وكذلك كانت صوفي بمهارتها وحذقها واخلاصها سببا فى طرد جيش سلافونيا من عاصمة بلادها .

ولما تم جلاء السلافونيين عن البلاد الجرجوفية . . عادت الحكومة الى العاصمة وعاد معها البلاط ومجلس الوصاية والملك الطفل

وكان يوم زفاف صوفى على الكونت اليكسيس ماسى يوم عيد وطني .. ظلت البلاد تحتفل به بعد ذلك فى كل عام ..

وابتاعت الحكومه «الفندق الامبراطوري » من مدام دنكوفيش وجعلت منه متحفا وطنيا . وضعت فيه الاسلاب والاسلحة التي غنمت من الجيش السلافونى اثناء تقهقره السريع . . .

واصبحت صوفى تدعى الكونتيس دي ماسي .. وقد زارت مع زوجها ذلك الفندق فيما بعد . . . وشاهدا المكان الذي قتل فيه الجاسوس فلاديمير بتروف .. والغرفة التى سجنا فيها معا .

وكان الحارس الذى عجلت به صوفي قد . . . في ثلاث

الفرقة اسيرا فتوسطت له صوفى وزوجها عن مجلس الجيش الاعلى وكان ذلك سببا فى اطلاق سراحه

ولكن الجندى المسكين لم يجرؤ على العودة الى وطنه ولم يكن لحسن الحظ متزوجا فالتمس البقاء فى جرجوفيا وتجنس بالجنسية الجرجوفية . واقام عند صوفى وزوجها خادما أمينا

. . .

اما انطوان : فقد كانت له من هذه الحادثة عظة وعبره، وكان له منها درس فى الوطنية لم ينسه أبدا

فلما نشبت الحرب بين البلدين بعد ذلك ببضعة اعوام كان هو فى طليعة المتطوعين تحت لواء الكونت الكسيس ماسي الذي رقي الى مرتبة القواد

وقد اصاب القائد ماسي فى هذه الحرب انتصارا ساحقا فاقتحم بلاد الاعداء . واحتلها . وضمها الى مملكة جرجوفيا

وكان الملك قد بلغ سن الرشد وتسلم زمام الحكم . فرفع الكونت ماسي وزوجته الى مصاف الامراء . ومنحهما مقاطعة واسعة النطاق يقضيان فيها ما بقى لهما من أيام الحياة

ولكننا لم نعد الآن نسمع عن مملكة جرجوف بالسوء الحظ فقد حدثت في بلاط الملك مؤامرة مخيفه ترمى الي ضم البلاد الجرجوفية الى مملكة اليونان

واستطاع المتآمرون ان يباغتوا الملك الشاب في قصره ويفتكوا به . . .

وكان البرنس اليكسيس دي ماسي قد بلغ سنى الكهولة فلما اتصل به خبر المؤامرة . خرج من عيشة العزلة التي كان يعيشها مع امرأته وابنه كازيمير — وقد اطلق على ابنه هذا الاسم احياء لذكري الخادم الامين كازيمير الذى كان ساعد صوفى الأيمن فى تدابيرها . وتقلد حسامه . وامتطى جواده وخرج على رأس جيش من المخلصين لتأديب المتآمرين والتنكيل بهم

وبعد كفاح شديد . بين مغاور البلاد وكهوفها : سقط الشيخ الباسل صريعا . وهو يهتف باسم الوطن . واسم صوفى .

وعندئذ حملت صوفى حسام زوجها بما طبعت عليه من الشجاعة والتفانى فى حب الوطن . وقلدته لابنها كازيمير . . وأوعزت اليه أن ينتقم للملك ولابيه . أو يسقط صريعا مثله اسقط!

ولكن جيش اليونان كان قد توغل فى بلاد جرجوفيا .
فجمع الجرجوفيون صفوفهم . ولكن بعد فوات الوقت . ـ

الخاتمة

وبعد حوادث هذه الرواية بعشرين عاما . كنت تجد فى مقبرة الامراء . قبراً كبيراً من الرخام الابيض . قد تكدست عليه الزهور . وارتفع فوقه نصب عظيم من الرخام . قد كتب عليه بحروف ذهبية كبيرة بارزة :

هنا يرقد .

البرنس الكسيس ماسى دي جرجوفيا . . والاميرة صوفي دي جرجوفيا :

وابنهما كازيمير دى ماسى :

الذين انقذوا الوطن . واستشهدوا فى سبيل الوطن .

ولا يزال هذا النصب قائما حتى الساعة . يحج اليه الجرجوفيون المخلصون كل عام ويضعون عليه الزهور والاقحوان

تمت

مطبوعات مصطفى محمد الروائية صاحب المكتبة التجارية الكبرى

بأول شارع محمد على بمصر الذى نشرت تباعا بجريدة الاهرام

الثمن	اسم الرواية	جزء
٨	صاحبة الملايين	٢
٨	ثريا أو شهيدة الوفا	٣
٨	الحب الابدى	٢
٨	الفجر أو انجيلا	٢
٨	هى أو عائشة	٢
٨	عودة عائشة	٢
٨	ابنة منتزوما	٢
٦	بنت الحكمة غرام عائشة	٢
٨	كلوبتره ملكة مصر	٢
٨	فتاة القال او بتريس	٢
٨	وسف صلاح لدين	٢
٨	كوكب الصباح	٢
٨	مادلين راعى البقر	٢
٨	حظي من النساء	٢
٦	غرام الامير رعمسيس	٢
٤	على الحدود	١
٤	توت عنخ آمون	١
٥	طبيب الصحراء	١
٥	المثلث الذهبي	١
٥	الاصفر المعبود	١
٤	الجاسوس الاعرج	١
٦	جانير أو اليتيمه	
١٠	على مذبح الحب	١
٦	كبلين الحسناء	١
١٠	حكم الهوى	١
٦	ملاك الدرس	١
١٠	الاقدار (جـ ١	١
١٠	الاقدار جـ ٢)	١
١٠	غرام عذراء	٢
١٠	ارمرلدا	٢
٨	الحب الساحر	١
٦	بين نارين	٢
٦	تيهواء	٢
٦	مداعبات الدهر	٢
٦	في سبيل هواها	١

(روايات جديدة)

الثمن	اسم الرواية	جزء
١٥	الاميرة المصرية أو فتح مصر القديم	١
٨	البؤساء ليفكتور هوجو	٢
٨	الاتهام أو المرأة الكبيرة	٢
٥	ابنة المملوك	١
٥	ذات الزهرة البيضاء	١
٤	ابن الشيخ أو غرام في الصحراء	١
٤	وقائع شرلوك هلمز	١
٤	عواطف المرأه	١

المكتبة لها قائمه ترسل مجانا لكل من يطلبها